

د. جيمس س. سبيجل، الأخلاق المسيحية، الجلسة الثانية النسبية الأخلاقية

جيم سبيجل وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور جيمس س. سبيجل في محاضراته عن الأخلاق المسيحية. هذه هي الجلسة الثانية، النسبية الأخلاقية.

مرحبًا، فلنبدأ في إلقاء نظرة على النظريات الأخلاقية الرئيسية.

ما سنفعله هو أن نبدأ بإلقاء نظرة على النسبية الأخلاقية. ما أريد القيام به أولاً هو إثبات وجود شيء يسمى الحقيقة الأخلاقية وأن القيم الأخلاقية لها قيم حقيقة موضوعية. وفي القيام بذلك، أريد أن أنتقد هذه النظرة، المعروفة باسم النسبية الأخلاقية.

بعد أن قمنا بذلك، سنبدأ في النظر في النظريات الأخلاقية الرئيسية، والتي هي ذات طبيعة موضوعية أو التي تؤكد على حقيقة الحقيقة الأخلاقية. لذا سننظر في النسبية الأخلاقية بمساعدة بعض المواد التي استقيتها من كتاب جيمس راشيل الكلاسيكي المعاصر عن الأخلاق المسمى [The Foundations of Morality](#). هذا الكتاب هو في الواقع الكتاب الأكثر مبيعًا في تاريخ الفلسفة.

أعتقد أن هذا الكتاب في طبعته التاسعة أو العاشرة. وقد استُخدم في العديد من الفصول الدراسية ودورات الأخلاق الجامعية. ولهذا السبب تفوقت مبيعاته حتى على مبيعات كتب مثل كتاب جمهورية أفلاطون. وكتاب الأخلاق النيقوماخية لأرسطو.

لذا، سأقتبس بعضًا من مناقشة راشيل للنسبية الأخلاقية. ومن المثير للاهتمام أن راشيل نفسه كان ملحدًا. لقد توفي منذ خمس أو عشر سنوات، لذا أعتقد أنه لم يعد ملحدًا بعد الآن.

ولكنه كان ملحدًا ولكنه كان مقتنعًا بوجود شيء اسمه الحقيقة الأخلاقية. ورفض النسبية. والواقع أن الغالبية العظمى من الفلاسفة، حتى لو كانوا ملحدين أو لا أدرين، يؤمنون بنوع من الحقيقة الأخلاقية المطلقة، وهو أمر مثير للاهتمام.

هناك عدد قليل جدًا من النسبيين بين الفلاسفة وحملة الدكتوراه في الأخلاق. لذا فإن هذا يخبرك بشيء عن النسبية الأخلاقية ومدى معقوليتها، حتى لو كان الملحدون يميلون إلى رفض هذه الرؤية. إذن، ما هي النسبية الأخلاقية؟ بشكل عام، النسبية هي وجهة نظر مفادها أنه لا توجد قيم أخلاقية مطلقة تنطبق في جميع الأوقات وفي جميع الأماكن.

الآن، قد يكون الأمر كذلك. في الواقع، هناك الكثير من القيم النسبية. هناك كل أنواع الممارسات التي قد نقول إنها نسبية فيما يتصل بصحة أو خطأ ثقافة معينة وتقاليدها، وما إلى ذلك. لكن النسبية الأخلاقية تقول إن كل القيم نسبية تمامًا إما لثقافة معينة أو لتفضيلات الفرد الفردية.

لذا، هناك تمييز مهم بين أنواع مختلفة من النسبية. فهناك النسبيون الثقافيون والذاتيون الأخلاقيون. وهذان هما شكلا النسبية.

لذا، يقول النسبيون الثقافيون إن القيم الأخلاقية تتحدد دائماً من خلال الثقافة وتقاليدها أو عاداتها وتقاليدها. أما الذاتيون الأخلاقيون فينظرون إلى كل فرد على أنه نسبي، والأمر يتعلق بالتفضيل الفردي فيما يتعلق بما إذا كان شيء معين صحيحاً أم خاطئاً. لذا، فلنبدأ بالنظر إلى النسبية الثقافية

إن هذه النظرة برزت إلى حيز الوجود في أوائل ومنتصف القرن العشرين، ويرجع هذا إلى حد كبير إلى التقدم الذي أحرز في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية. فقد اكتشف علماء مثل سومنر وبينيديكت وروث بينيديكت وغيرهم ممن كانوا يدرسون عن كُتب الجماعات البشرية من مختلف أنحاء العالم أن الطريقة التي يتصرفون بها أو القيم التي يعتنقونها في كثير من الحالات كانت مختلفة تماماً الاختلاف عن الممارسات والقيم التي نتمسك بها هنا في أميركا الشمالية أو في الولايات المتحدة. وقد دفع هذا الكثير من العلماء إلى النظر في إمكانية وجود طرق مختلفة للتصرف، حتى عندما يتعلق الأمر بالأشياء التي نعتز بها أكثر من غيرها، مثل وجهات نظرنا بشأن الزواج والقتل وكيفية معاملتنا لأطفالنا

إن بعض معتقداتنا الأساسية هي أن هناك أشخاصاً في ثقافات أخرى لديهم وجهات نظر مختلفة تماماً ويعيشون حياتهم بطرق مختلفة جداً. لذا فقد أثار هذا نوعاً من الشكوك لدى الكثير من الناس، ربما لا توجد حقيقة مطلقة هنا. لذا، فإن إحدى طرق تحليل ما تؤكدته نظرية أخلاقية معينة في النهاية هي أن نسأل كيف سيء أو خاطئ X جيد أو X يمكن تعريف أو ترجمة عبارة مثل

ما المقصود حقاً هنا؟ هنا، نتعمق في شيء يسمى الأخلاقيات الفوقية، والذي يحلل منطق ومعنى المصطلحات والمفاهيم والعبارات الأخلاقية. لذا، سنجري القليل من التحليل الأخلاقي الفوقي لكل من هذه النظريات، بدءاً من النسبية الثقافية. ماذا يعتقد النسبيون الثقافيون أننا نقول حقاً عندما نطلق على شيء ما جيدة X أنه جيد أو سيئ أو صحيح أو خاطئ أو عادل أو غير عادل؟ يقول النسبيون الثقافيون أن عبارة مثل متماسكاً أو مناسباً لأعراف هذه الثقافة X تعني أنه إذا كان

عندما نقول إن شيئاً ما سيئ، فهذه مجرد طريقة للقول إنه يتناقض مع أخلاقيات هذه الثقافة أو الطرق المفضلة والمقبولة في القيام بالأشياء. لذا، إذا قلت لضيف ألا يتجشأ على المائدة أو إذا قلت لطفلي ألا يتجشأ على المائدة، فهذا خطأ

لا تفعل ذلك، فهذا أمر سيئ، وهذا يعني أن هذا أمر لا نفعله هنا

نفضل ألا نتجشأ على المائدة أو تخرج غازات البطن على المائدة. فهذا وقح للغاية، وقد نقول إن هذا أمر سيئ أو أنه أمر خاطئ. وهناك الكثير من الأشياء الأخرى التي نعتبرها تفضيلات ثقافية

من المؤكد أن التجشؤ في بعض الثقافات يعتبر علامة على الامتنان أو التقدير لوجبة جيدة. لذا، هناك بالتأكيد نسبية في هذا الأمر. ويمكننا أن نقول نفس الشيء عن أنماط الملابس والرقص

بالتأكيد، الأساليب الفنية. الطريقة التي ننظم بها الأمور فيما يتعلق بقوانين المرور. كل أنواع التفاصيل الصغيرة المتعلقة بالسلوك العام نسبية بالنسبة للثقافة

وعندما تزور بلدًا آخر، تكتشف أن هناك طرقاً معينة للتنقل، على سبيل المثال، تمارس في ثقافات مختلفة. كما تعلم، نميل إلى القيام بذلك

لا أقصد أنني من هواة السفر بدون تصريح، ولكن الأشخاص الذين يقومون بذلك، كما تعلمون، يقفون على جانب الطريق ويفعلون ذلك. في الواقع، لم يعد هذا الأمر ممارساً على نطاق واسع كما كان من قبل. ولكن هذه كانت الطريقة المتبعة في الماضي

ارفع إبهامك إلى الأعلى بهذه الطريقة. لقد تعلمت منذ بضع سنوات أنه إذا فعلت ذلك في بعض البلدان في أوروبا، فسوف يشعر الناس بالفرح. لماذا؟ لأن هذا في الأساس إغراء الناس لممارسة الجنس، أليس كذلك؟ إن إشارة الإبهام هذه مبتدلة لهذا السبب

إذن، هناك نسبة هنا. قلت حسنًا، إذن، كيف تطلب توصيلة؟ كيف تشير إلى سائقي السيارات بأنك ترغب في ركوب سيارة في مكان ما؟ يقولون حسنًا، تفعل ذلك على هذا النحو. تأخذ إصبع السبابة وتشير إلى الأسفل.

لذا، قلت حسنًا، من الجيد أن أعرف ذلك إذا احتجت يومًا إلى السفر بدون تصريح في أوروبا. لذا، هناك بالتأكيد نسبة تنطبق على جميع أنواع مجالات السلوك البشري، أليس كذلك؟ لكن السؤال هو، هل كل سلوك بشري نسبي ثقافيًا؟ هل هو مثل التجشؤ على المائدة أو إشارة اليد للسفر بدون تصريح؟ هل الأمر كله مسألة تفضيل ثقافي؟ يقول النسبي الثقافي نعم. ويقول المطلق الأخلاقي أو الموضوعي لا

هناك قيم عالمية معينة تنطبق على الجميع. هناك أشياء معينة خاطئة تمامًا بغض النظر عن المكان أو الوقت الذي تقوم فيه بها. هناك أشياء أخرى معينة جيدة وصحيحة تمامًا بغض النظر عن المكان أو الوقت الذي تقوم فيه بها

إذن، ماذا نقول للنسبيين الثقافيين؟ وكيف يمكننا الرد عليهم؟ حسنًا، دعونا أولاً نفكر في الحجة. الحجة الرئيسية التي يستخدمها النسبيون الثقافيون للدفاع عن وجهة نظرهم. تسميها راشيل حجة الاختلافات الثقافية.

وإذا قابلت شخصاً ينتمي إلى النسبية الثقافية وسألته عن سبب وجهة نظره، ولماذا يتبنى وجهة النظر التي يتبناها، فمن المرجح أن يقدم لك الحجة التالية. تقول إحدى نسخ حجة الاختلافات الثقافية أولاً إن الثقافات المختلفة لديها قواعد أخلاقية مختلفة. وأن هناك مجموعة متنوعة من القواعد الأخلاقية عبر الثقافات.

وبعد ذلك، عادة، يتوصلون مباشرة إلى استنتاج مفاده أنه لا توجد حقيقة موضوعية في الأخلاق. وفي كثير من الأحيان، يتم التعبير عن ذلك بسؤال. كيف يمكنك أن تقول إن هناك طريقة واحدة صحيحة للعيش بينما يفعلها الناس في ثقافات أخرى بشكل مختلف تمامًا عنك؟ كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ أعتقد أن هذا نوع من النهج السقراطي

إن طرح الحجة في شكل سؤال هو مجرد افتراض، والافتراض هو أنك أحقق لقولك ذلك، وأن لا أحد في كامل قواه العقلية سيقول إن هناك طريقة واحدة صحيحة للتصرف جنسيًا، على سبيل المثال

أو فيما يتصل بكيفية التعامل مع الأشخاص الذين يحتضرون، والذين يعانون من آلام مبرحة. من أنت حتى تقول إن هناك طريقة واحدة صحيحة للتعامل مع هذا الموقف؟ أو طريقة واحدة صحيحة للتعامل مع قضية الإجهاض؟ وهكذا. لذا، فإن حجة الاختلافات الثقافية تنتقل في الأساس من تعدد المعتقدات والقيم إلى الاستنتاج القائل بأنه لا توجد قيمة صحيحة أو حقيقة واحدة عندما يتعلق الأمر بأي قضية أخلاقية معينة.

والآن، ماذا نقول في هذا الصدد؟ من وجهة نظر منطقية، فإن هذه الحجة بها عيب أساسي للغاية. وهو أن التعددية لا تعني النسبية. والتعددية في وجهات النظر حول أي شيء لا تعني عدم وجود وجهة نظر واحدة صحيحة.

إن مجرد اختلاف الناس حول قضية ما لا يعني بالضرورة عدم وجود حقيقة واحدة بشأن هذه القضية ولنتأمل هنا علم الفلك. ففي تاريخ علم الفلك، الذي يعود إلى الفلاسفة القدماء قبل سقراط، كانت هناك مجموعة متنوعة من وجهات النظر.

هناك ثلاث وجهات نظر رئيسية. الأولى هي نظرية الأرض المسطحة، التي تنص على أن الأرض مسطحة وقد تكون محاطة بالمياه. ما الذي يركز عليه هذا؟ ما هي الأرض، ما الذي تقوم عليه؟ كما تعلمون، كانت هناك ولا تزال هناك على الأرجح عدد من النظريات التي يقترحها أصحاب نظرية الأرض المسطحة.

ولكن فكرة أن الأرض مسطحة هي فكرة تبناها كثير من الناس عبر التاريخ. وهناك رأي آخر يتلخص في نظرية مركزية الأرض، والتي ترى أن الأرض تطفو في الفضاء وتدور حولها الشمس والكواكب والنجوم المختلفة. وهناك رأي ثالث، وهو الرأي الذي أؤمن به وأفترض أنك تتبناه، وهو الرأي القائل بأن الأرض مركزية الشمس.

وهذه هي النظرة التي ترى أن الأرض هي واحدة من عدة كواكب تدور حول الشمس، وأن الشمس تقع في مركز نظامنا الشمسي. وهذه النظريات غير متوافقة مع بعضها البعض.

لا يمكنك أن تكون من أنصار مركزية الشمس ومركزية الأرض في نفس الوقت أو أن تؤكد على أن الأرض مسطحة ومركزية الأرض في نفس الوقت. عليك حقاً أن تختار. ولكن هناك مجموعة متنوعة من وجهات النظر في هذا الشأن.

حتى يومنا هذا، في مختلف الثقافات، وحتى في هذه الثقافة، هناك أشخاص يؤمنون بمركزية الأرض بالإضافة إلى أن الأرض مسطحة. في الواقع، لاحظت أن نظرية الأرض المسطحة عادت إلى الظهور. وهناك بعض الرياضيين والفنانين البارزين الذين يؤمنون بنظرية الأرض المسطحة اليوم.

يمكنك رؤية ملصقات الصدمات. ربما تكون قد رأيت ملصق الصدمات الذي يقول، بمجرد أن تصبح مسطحاً، فلن تعود أبداً. هناك أشخاص يبدو أنهم أذكى للغاية، وحتى معروفون في هذه الثقافة، وهم من أنصار نظرية الأرض المسطحة.

الآن، هل يعني هذا أنه لا يوجد أي حقيقة في هذا الأمر عندما يتعلق الأمر بعلم الفلك وموقع الأرض بالنسبة لجميع هذه الأجرام السماوية؟ انظر، لديك أصحاب نظرية الأرض المسطحة ومركزية الأرض ومركزية الشمس. من قال، من أنت لتقول، أن الشمس هي مركز نظامنا الشمسي وأن الأرض تدور حول الشمس؟ من أنت لتقول؟ كيف ستجيب على هذا السؤال؟ أمل أن تقول، حسناً، أنا متعلم إلى حد ما حول هذه النظرية. أنا أفهم الفيزياء الأساسية وعلم الفلك.

وأننا أفهم ذلك بشكل ساحق، بل وأفترض وجود إجماع معين بين العلماء الخبراء في علم الفلك وعلم الكونيات والذين يمكنهم إثبات ذلك تجريبياً، وأن مركزية الشمس صحيحة. ومع كل الاحترام الواجب لمؤيدي الأرض المسطحة، ومع كل الاحترام الواجب لمؤيدي مركزية الأرض، هناك حقيقة في هذا الأمر تستند إلى أسباب وجيهة وأدلة تدحض وجهة نظرهم. لذا فإننا ندرك ذلك فيما يتعلق بعلم الفلك.

إننا ندرك أن مجرد وجود تعدد في وجهات النظر لا يعني بالضرورة عدم وجود حقيقة واحدة. لذا، أعتقد أن هذا تشبيه مهم هنا، وهو أمر يمكننا أن نقوله للنسبيين الثقافيين عندما يردون ويصرون على أن تنوع وجهات النظر في الأخلاق يعني ضمناً عدم وجود حقيقة. ونحن لا نتوصل إلى هذا الاستنتاج في علم الفلك.

ولكن لماذا ينبغي لنا أن نقول ذلك هنا؟ حسناً، هنا يوسع أنصار النسبية الثقافية ويعززون حجتهم بإضافة فرضية مفادها أنه على النقيض من العلم، لا توجد طريقة موثوقة لتحديد الحقيقة الموضوعية والأخلاق فنحن نمتلك الموارد والتكنولوجيا والعلم لتحديد الحقيقة حول علم الفلك وعلم الأحياء والكيمياء وما إلى ذلك. ولكننا لا نمتلك كل ذلك هنا

لذلك، لهذا السبب يمكننا أن نستنتج أنه لا توجد حقيقة موضوعية وأخلاق. لذا فإن هذه نسخة موسعة ومعززة من حجة الاختلافات الثقافية. ماذا نقول عن ذلك الآن؟ بالتأكيد، هناك فرق، أليس كذلك، بين اكتشاف الحقيقة في العلم واكتشاف الحقيقة في الأخلاق؟

ربما يكونون على حق. وربما لا توجد طريقة كما هو الحال في العلوم لاكتشاف الحقيقة الأخلاقية. حسناً، في الرد على هذه النسخة المحسنة من حجة الاختلافات الثقافية، يمكننا أن نلاحظ أن الحجة لا تزال غير صالحة.

الحجة الصحيحة هي الحجة التي تشير مقدماتها إلى صحة النتيجة. وإذا كانت المقدمات صحيحة، فلا بد أن تكون النتيجة صحيحة أيضاً. وهذا هو تعريف الحجة الصحيحة

ولكن لاحظوا، عندما يتعلق الأمر بحجة الاختلافات الثقافية، حتى في هذه النسخة المنقحة منها، فإن النتيجة لا تترتب على ذلك. فإذا سلمنا بأن الثقافات المختلفة لديها قواعد أخلاقية مختلفة، وهي كذلك بالفعل، وسلمنا بأنه لا توجد طريقة موثوقة لتحديد الحقيقة الموضوعية والأخلاق، ولنسلم بذلك من أجل المناقشة، فهل يترتب على ذلك أنه لا توجد حقيقة موضوعية في الأخلاق؟ حسناً، لا، ليس الأمر كذلك ومرة أخرى، يمكننا اللجوء إلى تاريخ العلم لإثبات ذلك

هل كانت هناك طريقة موثوقة في القرن السابع أو الثاني عشر الميلادي لتحديد الحقيقة في علم الفلك فيما يتصل بمكانة الأرض في الكون؟ كلا، لم تكن هناك طريقة موثوقة. لم تكن لدينا تلسكوبات قوية حقاً، أو تلسكوبات قوية بالقدر الكافي حتى بداية العصر الحديث. وكانت وسائل استكشاف الكون محدودة للغاية. كما تعلمون، قبل 1500 عام، بحيث لم يكن من الممكن التوصل إلى استنتاجات قاطعة بشأن هذه المسألة

إذن، لم تكن هناك طريقة موثوقة لتحديد حقيقة الأمر فيما يتعلق بمكانة الأرض في الكون منذ سنوات عديدة. ولكن، ألم تكن الأرض لا تزال تدور حول الشمس، وتدور حول محورها، أليس كذلك، تدور حول الشمس، جنباً إلى جنب مع كل هذه الكواكب الأخرى، على الرغم من أننا لم نكن نمتلك طريقة موثوقة لتحديد الحقيقة؟ حسناً، نعم، كانت كذلك. لذا، لا يزال بإمكانك الحصول على حقيقة موضوعية، في هذه الحالة، في العلم، حتى عندما نفتقر إلى طريقة موثوقة لتحديد تلك الحقيقة

وهذا إذن تمييز مهم. فهو يوضح أن هذه الحجة غير صالحة. ولكن يمكننا أن نضيف بعد ذلك أن هناك طريقة موثوقة للتحقق من الحقيقة الأخلاقية

إننا نستطيع أن نستعين بالعقل والخبرة البشرية، وإذا كان هناك شيء من هذا القبيل، فيمكننا أن نستعين بالوحي الخاص من الله، والذي نعتقد كمسيحيين أنه هو بالضبط ما تحتويه الكتب المقدسة. إن النصوص الموحى بها من الله ترشدنا، وخاصة في مجال الأخلاق، فيما يتعلق بالكيفية التي ينبغي لنا أن نعيش بها أمام الله، فضلاً عن توصيل الحقائق الميتافيزيقية إلينا حول الطبيعة النهائية للواقع، وطبيعة الله، فضلاً عن الحقائق التاريخية. ولكن بمساعدة الوحي الخاص، وكتب العهدين القديم والجديد، وتطبيق العقل والخبرة بعناية على تلك النصوص، يمكننا أن نصل إلى استنتاجات مبررة تماماً حول الكيفية التي ينبغي لنا أن نعيش بها حياتنا

وهذا ما يمكننا قوله رداً على أفضل حجة للنسبية الثقافية، وهي حجة الاختلافات الثقافية. وهذا أفضل ما يمكن أن نجده في النسبية الثقافية ودفاعها. لذا فإن هذه الحجة تفشل

ولكن الآن، يمكن أن يذهب نقدنا للنسبية الثقافية إلى أبعد من ذلك، وهو أن نلاحظ أن النسبية الثقافية لها عواقب إشكالية عديدة. وأعتقد أن هذه هي الأسباب الرئيسية التي تجعل من الصعب العثور على فيلسوف ملحد يؤمن بالنسبية الثقافية، لأن هذه المشاكل حادة للغاية. ولأن أحداً لا يتصرف حقاً مثل النسبيين الثقافيين أو أي نوع من النسبيين، كما لاحظ سي إس لويس في الصفحات الأولى من عمله الكلاسيكي "المسيحية المجردة".

نحن نحمل الناس مسؤولية أخطائهم. لا أحد يتبنى مبدأ النسبية أثناء القيادة. إذا قطع شخص ما طريقك على الطريق السريع، أليس كذلك؟ سوف تصدر حكماً أخلاقياً ما، حتى لو كان ذلك بهدوء على نفسك

لم يكن ينبغي له أن يفعل ذلك. لقد قطع حديثي. كان ذلك خطأ

أو نتعرف على ما يفعله بعض الناس في ثقافة أخرى بعيدة، فنقول: يا إلهي، هل يفعلون ذلك؟ هذا أمر فظيع وغير عادل.

إن هذا ينتهك حقوق الإنسان، أليس كذلك؟ حتى الملحدون المتشددون يقولون ذلك من وقت لآخر. وهذا يكشف أنهم ليسوا نسبيين حقاً. إنهم يؤمنون بالمبادئ الأخلاقية المطلقة

وهنا بعض الأسباب الفلسفية لرفض النسبية الثقافية. أحد هذه الأسباب هو أنها تجعل انتقاد قيم المجتمعات الأخرى أمراً مستحيلاً. فإذا كنت من أنصار النسبية الثقافية، فلن تتمكن من انتقاد ما فعله النازيون.

لا يمكنك انتقاد ما فعلته أي جماعة إبادة جماعية في ثقافة أخرى. فهذه ثقافة مختلفة. ووفقاً للنسبية الثقافية، فإن الصواب والخطأ يتحددان بالقيم المفضلة لدى ثقافة معينة

إنني أتحدث من منظور الثقافة الأميركية في القرن الحادي والعشرين. فمن أنا حتى أحكم على ما فعله النازيون قبل سبعين أو ثمانين عاماً؟ هذا هو الاستنتاج الذي يتعين عليك أن تتوصل إليه باعتبارك من أنصار النسبية الثقافية. فلا يمكنك أن تدين النازيين

لا يمكنك أن تدين حتى أكثر الأفعال الدموية والإبادة الجماعية التي ترتكبها الأنظمة في الثقافات الأخرى. كما أن هذا يجعل التقدم الأخلاقي مستحيلاً. وإذا كنت من أنصار النسبية الثقافية، فلن يكون هناك معيار مطلق يمكننا من خلاله تقييم التقدم أو التراجع أخلاقياً أو الحكم عليه

إذا كنت تعتقد أن ثقافتنا تتحسن، فلا بد أن يكون هناك نوع من المعايير خارج ثقافتنا تتجاوز ثقافتنا، والتي يمكننا بموجبها تقييم المزايا النسبية أو التحسن أو الانحطاط في قيم ثقافتنا. إن مفهوم التقدم الأخلاقي برمته يفترض وجود نوع من المعايير المتسامية المطلقة للخير الأخلاقي. ويرتبط بهذا تلميح آخر للنسبية الثقافية

إن النسبية الثقافية تعني ضمناً أن كل المصلحين الأخلاقيين فاسدون. لماذا؟ لقد تحدى المصلحون الأخلاقيون، مثل مارتن لوتر كينج، جوانب معينة من الأخلاق والقيم الثقافية الحالية. لقد تحدى مارتن لوتر كينج قوانين جيم كرو بحق لأنها كانت عنصرية

ورغم أن هذه القوانين كانت متوافقة مع بعض العادات والتقاليد السائدة في هذه الثقافة، إلا أنه أدرك خطأها. فقام بحملات واحتجاجات ضدها وانتصر. ونحن نعتبره بطلاً ومصلحاً أخلاقياً جيداً

ولكن إذا كانت النسبية الثقافية صحيحة، فلن يكون بوسعنا أن نفعل ذلك. وإذا كانت المعايير الوحيدة التي نعتمدها لتقييم السلوكيات أو الإصلاحيين الأخلاقيين هي القيم الثقافية الحالية، فإن ما كان مارتن لوثر كينج يفعلته كان خطأً بحكم التعريف. فقد كان يتحدى الأعراف الثقافية

إذا كنت تعتقد أن مارتن لوثر كينج كان مصلحاً أخلاقياً جيداً بل وبطلاً أخلاقياً، فهذا يدل على أنك لست من دعاة النسبية الثقافية. بل إنك تؤمن بالمبادئ الأخلاقية المطلقة. وقد طرح مارتن لوثر كينج هذه الحجة في عدد من كتاباته وخطبه، وهي أن هناك قانوناً أخلاقياً أعلى يقول إنه يأتي من الله، وهو محفوظ بطريقة ما في كيان الله، والذي يمكننا وفقاً له تقييم قوانيننا الحالية

كان على يقين تام من أننا في ذلك الوقت كنا نمارس بعض الأمور غير الأخلاقية من خلال قوانين جيم كرو. لذا، كان بطلاً أخلاقياً. ولم يكن فاسداً

إن الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها أن نفهم حقيقة كونه بطلاً أخلاقياً هي أن نؤمن بالمبادئ الأخلاقية المطلقة ونرفض النسبية الثقافية. وعلى هذا فبوسعنا أن نجمع كل هذا معاً ونقدم نوعاً من الاختزال لحجة العبث ضد النسبية الثقافية. وإذا افترضنا أن النسبية الثقافية صحيحة، فلا بد وأن نستنتج أن النازيين لم يكونوا مخطئين تماماً

يتعين علينا أن نستنتج أن ليس كل المصلحين الأخلاقيين فاسدين، ويتعين علينا أن نستنتج أن التقدم الأخلاقي غير ممكن. ولكن أي شخص يتمتع بالفطرة الأخلاقية السليمة لابد وأن يدرك أن كل هذه التداعيات غير مقبولة. لقد كان النازيون مخطئين تماماً

التقدم الأخلاقي ممكن، ولكن ليس كل المصلحين الأخلاقيين فاسدين. وهذا يعني ضمناً أن الافتراض هنا بأن النسبية الثقافية صحيحة لابد وأن يكون خاطئاً. وأي شيء يوجي بالسخافات أو أي أكاذيب لابد وأن يكون خاطئاً في حد ذاته

إذن هذا نوع من الحجة التي تتعارض مع النسبية الثقافية. حسناً، يكفي الحديث عن النسبية الثقافية. فلنتحدث الآن عن الشكل الآخر من النسبية، وهو الذاتية الأخلاقية

إن إحدى المشاكل التي تعيب النسبية الثقافية هي التمييز بين بداية ثقافة ونهاية ثقافة أخرى. ففي أي نقطة تتلاشى ثقافتنا الحالية في ثقافة أخرى؟ يمكننا أن نتحدث عن الثقافة الأوروبية أو الثقافة الفرنسية في مقابل الثقافة الأميركية، أو في مقابل الثقافة الألمانية أو الثقافة السويدية. إن الأمم المختلفة لها ثقافات مختلفة ولكن داخل ثقافة أو أمة معينة، توجد ثقافات فرعية

في الولايات المتحدة، قمت برحلة إلى تكساس، وهي ولاية ذات ثقافة فرعية مختلفة إلى حد ما عن إنديانا. لقد زرت كاليفورنيا وأوريغون والساحل الشرقي وكل هذه الولايات المختلفة. الثقافات الفرعية مختلفة بعض الشيء

أعيش في ولاية إنديانا. لاحظت أن هناك ثقافة مختلفة قليلاً في شمال إنديانا عن جنوب إنديانا، الذي يشبه إلى حد ما كنتاكي. شمال إنديانا يشبه إلى حد ما ميشيغان

إن رسم الخطوط أمر مستحيل وإلا فلن يكون له نهاية. إذن، ما الذي يمكن اعتباره ثقافة؟ هذا سؤال مفتوح وصعب. وإذا كنا نريد أن نفهم النسبية الثقافية على النحو اللائق، فإننا نواجه مهمة ضخمة بين أيدينا

ربما يكون هذا مستحيلًا. يبدو أن الخط الواضح الوحيد الذي يمكنك رسمه هو الخط الفاصل بين الأفراد. من الواضح أين أنتهي وأين تبدأ أنت

إن هذا يتجاهل مشكلة التوائم الملتصقة، وهو ما يجعل التمييز بين الأفراد أكثر صعوبة. ولكن في أغلب الأحيان، يتم التمييز بين الأفراد من حيث المكان الذي يبدأ فيه أحد الجسدين وينتهي في جسد آخر

إذن، لديك قيمك الخاصة، ولدي قيمي الخاصة. ويقول أصحاب نظرية الأخلاق الذاتية إن هذا هو الحل. فكل فرد لديه قيمه الأخلاقية الخاصة

لذا، فهم يحددون ما هو مناسب لهم. أنت تحدد ما هو مناسب لك. أنا أحدد ما هو مناسب لي

إننا نفعل ذلك من منظور التفضيلات الفردية. وهذا هو أفضل تحليل للحقيقة الأخلاقية

جيد، وهذا X إن الأمر نسبي بالنسبة لكل فرد على حدة. لذا، وفقًا لهذا الرأي، ووفقًا للذاتية الأخلاقية، فإن سيء، وهذا يعني أنني لا أحبه. هذه هي بالتأكيد الطريقة التي نحكم بها على X فقط. و X يعني أنني أحب الأشياء عندما يتعلق الأمر بالطعام

أقول، آه، براعم بروكسل سيئة. والآيس كريم جيد. ماذا أعني بذلك؟ حسنًا، أنا لا أحب براعم بروكسل

وأننا أحب الآيس كريم. وهناك أشخاص يحبون براعم بروكسل. وبالنسبة لهم، أقول، حسنًا، إنها مفيدة لهم

لا أحب هذا الأمر، فهو أمر سيئ بالنسبة لي. لذا، يقول أصحاب نظرية الموضوعية الأخلاقية إن الأمر كذلك في المجال الأخلاقي أيضًا

إذا أعجبك شيء ما، فهو مفيد لك. وإذا لم يعجبك، فهو سيء بالنسبة لك. الآن، هذا شيء من السهل جدًا تحديده

من بين مزايا الذاتية الأخلاقية أنها تجعل من السهل تحديد الصواب من الخطأ. إذن، القتل الرحيم، والحرب، وعقوبة الإعدام، والإجهاض. ما هو الصواب والخطأ في هذه الأسئلة بالذات؟ عليك فقط أن تسأل نفسك هل تعجبني فكرة شن حرب على دولة ما لسبب أو لآخر؟ نعم

حسنًا، إذاً هذا صحيح. الإجهاض عند الطلب

هل يعجبني ذلك أم لا؟ بالتأكيد. حسنًا. إذاً فهو أمر جيد

إن هذا صحيح. فما عليك إلا أن تسأل نفسك هذا السؤال: هل يعجبني هذا؟ وهذا هو الجواب على سؤال هل هذا صحيح أم خاطئ. وعلى هذا فإن أصحاب المذهب الذاتي الأخلاقي يتغلبون على بعض المشاكل التي تبطل النسبية الثقافية، ولكن هناك بعض المشاكل التي تظل قائمة. ومن بين المشاكل الكبرى أن هذه النسبية لا توفر أي أساس أو أساس للواجب الأخلاقي والالتزامات والحقوق، التي يقول معظمنا على الأقل إننا نؤمن بها، وأن هناك ما يسمى بحقوق الإنسان وأننا ملزمون بها

ولكن كيف يمكنك أن تفهم ذلك من وجهة النظر الذاتية؟ ما هي الأسس أو الأسباب المحتملة التي قد تستند إليها لإلزام الآخرين على هذا الرأي؟ هناك نتيجة أخرى مثيرة للاهتمام للذاتية الأخلاقية وهي أنها تجعل الخلافات الأخلاقية مستحيلة. ومرة أخرى، إذا كان هناك توازي بين الأحكام الأخلاقية وأحكام الذوق فيما يتصل بالطعام، فمن الواضح أنك لا تستطيع أن تتوصل إلى خلاف جوهري في الأخلاق أكثر مما نستطيع أن نتوصل إلى خلاف حول ما إذا كانت براعم بروكسل لذيفة المذاق أم لا. أنت تحب طعم براعم بروكسل ولكنني أجدتها مقززة.

هل نجادل في هذا الأمر؟ كم سيكون من حماقة أن نجادل أو نناقش ما إذا كان طعم براعم بروكسل جيدًا؟ لن نصل إلى أي مكان من خلال هذا لأننا ندرك أن الأمر مجرد مسألة ذوق. لذا، فإن الأمر يدخل في المجال الأخلاقي بالنسبة للذاتيين؛ إذ سيضطرون إلى القول إن المناقشة الأخلاقية سخيفة ولا معنى لها ومضیعة للوقت. لماذا نناقش قضية الإجهاض عندما تكون مجرد مسألة إعجابك به وأنا لا أحبه؟ لماذا نناقش ما إذا كان من المقبول تربية الحيوانات في مزارع صناعية؟ أنت لا تحبه، وأنا أحبه.

إنه مثل الآيس كريم، مثل براعم بروكسل. لذا، لا يمكن أن يكون لدينا أي خلافات أخلاقية حقيقية وفقًا للذاتية الأخلاقية. هذا هو الاستنتاج هنا.

ولكن هذا يشكل إشكالية في وجهة نظرهم لأن الفطرة الأخلاقية السليمة تخبرنا بأن الخلاف الحقيقي يحدث في الأخلاق. وأن هذه الخلافات التي نواجهها حقيقية وأنها تستحق المناقشة. وهذه إذن مشكلة أخرى تتعلق بالذاتية الأخلاقية.

ومن بين الاستنتاجات السخيفة الأخرى المترتبة على هذه النظرة أنه إذا كانت الذاتية صحيحة، فلا يجوز لنا أن ندين أو نشيد بأي شيء على الإطلاق. لماذا؟ لأننا، مرة أخرى، لا نقوم إلا بوصف مشاعرنا وتفضيلاتنا. وهذا يشمل المحرقة النازية.

وهذا يشمل أي سلوك إبادة جماعية في أي مكان. ويشمل ذلك حتى تعذيب الأطفال أو الاغتصاب والقتل. قد لا تعجبني هذه الأشياء.

ربما أشعر بالاشمئزاز من هذه السلوكيات. ولكن إذا كان شخص آخر يحب ذلك، فبصفتي شخصًا ذا نزعة ذاتية، يتعين علي أن أقول، حسنًا، هذا هو الصواب بالنسبة له. وآمل أن يكون عبث ذلك واضحًا.

وأخيرًا، هناك نتيجة سخيفة ثانية للذاتية الأخلاقية، وهي أننا لا يمكن أن نخطئ في أحكامنا الأخلاقية. وإذا كانت الذاتية صحيحة، فما دمت على اتصال بمشاعرك الخاصة وواعيًا لتفضيلاتك الشخصية، فإنك ستعرف الحقيقة الأخلاقية بشأن أي قضية بعينها. ولا يمكن أن تخطئ.

ومرة أخرى، يتناقض هذا مع الفطرة الأخلاقية السليمة. لقد اتخذت ذات يوم موقفًا مختلفًا بشأن قضية الإجهاض. ومنذ سنوات عديدة، كنت مؤيداً لحق الاختيار في هذه القضية.

وبعد أن تعلمت المزيد عن هذه القضية، تغيرت وجهة نظري. وأصبحت مؤيداً للحياة من الناحيتين الأخلاقية والسياسية فيما يتصل بقضية الإجهاض. والآن تغيرت وجهة نظري.

إن الفطرة الأخلاقية السليمة تخبرنا بأن وجهة نظري كانت إما خاطئة ثم غيرتها إلى وجهة النظر الصحيحة أو العكس. ربما كانت وجهة نظري صحيحة، ولكنني أتمسك الآن بوجهة نظر خاطئة. ولكن وجهة النظر هذه، التي تدرك أنني كنت مخطئًا من قبل أو أنني مخطئ الآن، لا يمكنك فهمها على أساس وجهة النظر الذاتية. والتي تعني ضمناً أنك لا تخطئ أبدًا، حتى لو غيرت وجهة نظرك من يوم لآخر.

حتى لو كنت في كل يوم فردي مؤيداً للحياة، وفي كل يوم زوجي مؤيداً للاختيار. فأنت محق في كل يوم من تلك الأيام، طالما أن هذا هو تفضيلك في ذلك اليوم. وإذا لم يكن هذا سخيّاً، فمن الصعب أن نقول ما الذي قد يكون غير ذلك.

لذا، فمن الممكن أن نخطئ في أحكامنا الأخلاقية. وهذا يدحض أيضاً الذاتية الأخلاقية. لذا، فإن الذاتية الأخلاقية ليست في الواقع تقدماً على النسبية الثقافية.

،إن هذا يشكل مشكلة كبيرة، بل وربما أكثر من ذلك. وهذان هما الشكلان اللذان تتبناهما النسبية الأخلاقية النسبية الثقافية والذاتية الأخلاقية. لذا، نأمل أن نكون قد دحضنا الآن هذين النظريتين النسبيتين

إن النسبية لا تنجح عموماً، ولذلك فنحن في حاجة إلى اكتشاف، إن أمكننا، نظرية أخلاقية موضوعية أو مطلقة من شأنها أن تفسر حدسنا الأخلاقي بشأن كل هذه القضايا، وأن تفسر مفهوم الواجب والحقوق والعدالة، وأن توفر الأساس الكافي لهذه الأمور، وأن تفسر حدسنا واعتقادنا السليم بأن الخلاف الأخلاقي حقيقي، وأن تمكننا أيضاً من إدراك أن الثقافات أو المجموعات أو الأنظمة الأجنبية والثقافات الأجنبية تتصرف أحياناً على نحو غير أخلاقي حتى عندما تكون آراؤها هي السائدة داخل ثقافة معينة. ونحن في حاجة إلى نظرية أخلاقية تفسر كل هذه المعتقدات السليمة بشأن الأخلاق. وهذا ما سيقودنا إلى مسحنا للنظريات الأخلاقية الرئيسية، وهو ما سنفعله بعد ذلك

هذا هو الدكتور جيمس س. سبيجل في محاضراته عن الأخلاق المسيحية. هذه هي الجلسة الثانية، النسبية الأخلاقية.